أطفالنا

مجلة اسبوعية ـ شاملة — العدد (63) 6 فبراير 2026

علي محمد الشرفاء الحمادي يكتب..

بين الإفراط والتفريط: كيف فُرّغت رسالة الإسلام من مشروعها الإنساني

أسماء الله الحسنى

" الأوَّل "

بقلم/ سلمى خالد

كانت زَيْنَبُ تقفُ عند نافذةِ غُرفتها في المساءِ تنظرُ إلى الشارعِ الهادئ، بينما يدُها تعبثُ بدفترٍ قديمٍ مليءٍ بالخططِ والأحلام، وكانت تشعرُ بحيرةٍ تسكنُ قلبَها؛ فمع بدايةِ مرحلةٍ جديدةٍ في حياتها، لم تكن تعرفُ من أين تبدأ ولا أيَّ طريقٍ تختار، قالت في نفسها: كلُّ شيءٍ يبدو متشابكًا أخافُ أن أبدأَ فأُخطئ، وأخافُ أن أتأخَّرَ فأضيع..

دخلت أمُّها الغرفةَ ولاحظت شرودَ ابنتها، جلست بجوارها وسألتها بهدوءٍ: ما بكِ يا زينب أراكِ تفكِّرين كثيرًا؟

تنهدت زينب وقالت:أشعرُ أنني متأخرةٌ يا أمِّي، لا أعرفُ الخطوةَ الأولى وكلُّ من حولي يبدو كأنه سبقني..

ابتسمت الأمُّ وربَّتت على كتفِها وقالت: يا زينب هل تعلمين معنى اسمِ اللهِ الأوَّل؟

نظرت زينبُ إليها باهتمامٍ وقالت: أعرفُ أنه من أسماءِ اللهِ الحُسنى، لكن ما علاقتُه بما أشعرُ به؟

قالت الأمُّ: اللهُ الأوَّلُ يعني أنه سبحانه كان قبل كلِّ شيءٍ، قبل البداية، قبل الطريق، قبل الحيرةِ نفسِها، لا شيء يسبقُ الله، ولا خطوةً تبدأُ إلا وهو قد قدَّرها وعلم مآلَها..

سكتت زينب لحظةً وكأن الكلمات بدأت تلامسُ قلبَها، فقالت: لكنني أخافُ أن أختارَ البدايةَ الخطأ..

قالت الأمُّ: بهدوءٍ مُطمئِنٍ: لو تذكَّرتِ أن اللهَ هو الأوَّل، فلن تخافي من البداية لأنك لن تبدئي وحدَك، هو الذي بدأ خلقَك وبدأ رزقَك وبدأ قصتَك، وكلُّ بدايةٍ في حياتك ليست جديدةً عليه، ثم قالت بنبرةٍ أعمق: قال الله تعالى (هو الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليم)؛

هذه الآية يا زينب تفتح لنا بابَ الطمأنينة؛ لأنها تقول لنا إن الله كان قبل همِّك وسيبقى بعده وإن ما بين البداية والنهاية محفوظٌ بعلمه ورحمته، فالإنسان يقلق لأنه لا يرى إلا الخطوةَ الأولى، أما الله فيرى الطريقَ كلَّه منذ أوَّله إلى آخره، نحن نخاف لأننا نجهل، أما هو فيطمئن لأنه يعلم، نحن نرتب بداياتِنا بقلقٍ لأنه قد نخطئ، أما هو فقد رتَّبها بحكمةٍ قبل أن نفكرَ فيها..

وهو الذي قال أيضًا: (كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه)، فنعرف أن كلَّ ما نتعلقُ به زائلٌ إلا الله، وأن من تعلَّق بالأوَّل لم يَضِع في التحولات ولم ينكسر عند التغيُّرات..

ثم قالت: إن فهم اسم الله الأوَّل يجعلُنا نبدأ دون هَلَع ونتحرك دون فزعٍ ونعمل دون استعجال؛ لأننا نعلم أن الزمن ليس خصمًا لنا، وأن البدايات ليست امتحانًا مخيفًا بل هي أبوابُ رحمةٍ يفتحها الله حين يشاء لمن يشاء..

أحسَّت زينب بشيءٍ من الطمأنينة يسري في صدرِها، وقالت: يعني يا أمِّي حتى لو كنتُ لا أعرفُ من أين أبدأ فاللهُ قد سبقني إلى هذا الطريق؟

ابتسمت الأمُّ وقالت: نعم وما دمتِ تبدأين وأنتِ متعلِّقةٌ بالله الأوَّل فلن تكونَ أيُّ بدايةٍ ضائعةً حتى إن تعثَّرتِ فهي جزءٌ من الطريق الذي قدَّره لك..

أغلقت زينب دفترَها بهُدوءٍ وشعرت أن ثِقَلَ الحيرةِ خفَّ وقالت بصوتٍ مملوءٍ باليقين: الآن فهمت ما دام اللهُ هو الأوَّل فكلُّ بدايةٍ معه أمان، ثم رفعت يدَيها وقالت: اللهُمَّ يا أوَّل، كُن معي في كلِّ بدايةٍ وطمئِن قلبي أنَّ الطَّريقَ معك لا يضِيع..

أطفالنا

مجلة اسبوعية – شاملة

تصدر بشكل اسبوعي

رئيس مجلس التحرير

هشام النجار

إخراج فنى وتصميم

أحمد سعيد

هيئة التحرير

محمد الشنتناوي

رانيا عبد الكريم

أحمد سليمان

اسلام سعيد

أحمد مجدى

فاتن الحلوانى

محمد عبد الجليل

داليا داود

ليلي احمد

عبد الرحمن يوسف

احمد الجمل

ندى سامي

صفاء دعبس

سلمى خالد

جانب من محتويات العدد ..

العدد (63) 6 فبراير 2026

قدوتي
الرَّسُولُ القُرْآنِي

يا أحفادي
الهِجْرَةُ طَرِيقُ بِنَاء

آية ودرس
الصِّراطُ الذي لا
يَضِلُّ سالِكُه

صندوق الحكمة
علي محمد الشرفاء
الحمادي

علي محمد الشرفاء الحمادي يكتب..

بين الإفراط والتفريط كيف اختزل بعض المفكرين رسالة الإسلام وأفرغوها من مشروعها الإنساني...

المفكرون بصفة عامة لم يكونوا يوما على مسار واحد فبين الإفراط والتفريط ضاعت في كثير من الأحيان روح رسالة الإسلام وتحولت من مشروع متكامل لإعادة صياغة الإنسان إلى شعارات مبتورة أو أحكام مجتزأة أو آيات معدودة ترفع كسيف قاطع على رقاب الناس دون فهم ولا وعي ولا إدراك لمقاصد التنزيل.

ورسالة الإسلام في أصلها ليست طقوسًا معزولة ولا أحكامًا جامدة ولا خمس آيات تحفظ ثم تختزل فيها الحياة كلها، بل هي جهاد متصل مع النفس ومشروع طويل النفس لإعادة بناء شخصية الإنسان من الداخل قبل أن ينشغل بتغيير العالم من الخارج.

فالقرآن منذ آياته الأولى يوجه البوصلة إلى الداخل

(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

فالفلاح هنا ليس في كثرة الشعارات ولا في ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة بل في تزكية النفس وتطهيرها من أمراضها العميقة من أنانية واستكبار وغضب وطمع وبغي وتسلط

إن النفس الإنسانية ليست كيانا محايدا بل هي ساحة صراع

(إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)

ومن هنا كان الجهاد الحقيقي هو جهاد النفس لا كما اختزله البعض في عنف أو صدام أو تكفير بل كما أراده القرآن مجاهدة داخلية مستمرة ضد السقوط الأخلاقي وضد الظن السيئ بالآخرين وضد الحقد والحسد والكراهية

فالقرآن لا يبني إنسانا ناقما بل إنسانا عادلا

(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)

ولا يبني إنسانا متعاليا بل إنسانا متواضعا) (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

وهنا يظهر الخلل الكبير حين يأتي من يقول إن الإسلام خمس آيات فقط ثم يقرر أنها القول الفصل والحكم القاطع الذي يحدد حياة من آمن بالله وكأن القرآن كله اختزل في بضعة نصوص تقرأ بلا سياق وتفهم بلا مقصد وتطبق بلا عقل

هذا هو الإفراط بعينه كما أن التفريط لا يقل خطرا حين يتحول الإسلام إلى مجرد قيم عامة بلا التزام ولا ضبط ولا مرجعية

فالقرآن يقدم مشروعا متوازنا

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)

وسطية لا تعني التميع ولا التشدد بل تعني العدل والاتزان والوعي بالسياق والإنسان

والدنيا في هذا المشروع ليست هدفا ولا لعنة بل اختبار(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) فمن فهم هذه الحقيقة لم تغره الدنيا إن جاءت بخيلها وخيلائها ولا حزن إن ذهبت بأموالها ومتاعها ولهوها لأنه يدرك أن

(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

فالإنسان الذي يعاد تشكيله قرآنيا هو إنسان لا يعبد

المال ولا المنصب ولا الجاه
(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)
وهو إنسان يعيش الخشية لا الخوف
(إنما يخشى الله من عباده العلماء)
خشية واعية نابعة من إدراك يوم الحساب ومن مواجهة رب الأرباب لا من فزع مرضي ولا من استعلاء أجوف

إن أخطر ما أصاب الخطاب الديني والفكري هو هذا الميل الحاد إما إلى إفراط يغلق العقل ويكفر المخالف ويختزل الدين في نصوص سيوف أو إلى تفريط يفرغ الإسلام من جوهره ويحوله إلى أخلاق بلا شريعة أو روح بلا التزام
بين الإفراط والتفريط تضيع رسالة الإسلام التي جاءت لتحرر الإنسان من عبودية الشهوة ومن طغيان الأنا ومن وهم الخلود في الدنيا
(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)
فالعودة إلى القرآن ليست عودة إلى خمس آيات منتقاة بعناية أيديولوجية بل عودة إلى المنهج الكلي الذي يخاطب العقل والقلب والسلوك ويصوغ إنسانا متوازنا قادرا على مجاهدة نفسه قبل أن يدعي إصلاح غيره
وهكذا فقط نستعيد الإسلام رسالة حياة لا أداة صراع ورسالة تزكية لا وسيلة تسلط ورسالة نجاة لا مشروع هلاك.

قوتُنا في الرحمَة

بقلم رئيس مجلس التحرير هشام النجار

يا أحبّاءَنا،،

تخيّلوا معي طفلين يختلفان في اللعب، فيغضب أحدهما ويرفع صوته، ثم يسكت قليلا ويتنفس ويفكّر، ثم يقول لصاحبه بهدوء ما يريده، فيهدأ الخلاف ويعود اللعب فرحًا..

وتخيّلوا طفلا آخر يغضب، فيدفع ويصرخ ويُؤذي، فيكسر الفرح ويخسر الصداقة ويتركُ في القلوب ألماً لا يُرى..

فأيّهما كَان أقوى؟

يعلّمنا القرآن الكريم أن القوة الحقيقية هي في القلب الذي يملك نفسه عند الغضب، ويختار الرحمة عند القدرة، ويُقدّم السَّلام عند الاختلاف، وقد تعلمنا من آياتِ ربِّنا أنَّ القُوَّة ليست في اليد التي تضْرب والذراع التي تبطش، ولا في الصوتِ الذي يعلو والمظهرِ الذي يُخيف، أو في القدرة على إخضاع الآخرين.

يا أحبَّاءَنا،

يقولُ اللّه سبحانه وتعالى في كتابِه إنَّ دفعَ السيئة بالحسنة يُحوّلُ العداوةَ إلى مودَّة، ويُبدّل الخصومة قُربًا، ويعيد بناء العلاقة ويَحُول دون هدمِها، وعندما يختار الإنسانُ أن يردّ الإساءة بالإصلاح ولا ينتقم، فإنه يربَحُ نفسَه ويربحُ قلبَ الآخر أيضا، ويصنع دائرة من الخير تمتد في المجتمع ويضيِّقُ دائرةَ الصِّراع.

ويقول سبحانه أيضا إنَّ من يغضُّ بصرَه عن أخطاء النَّاس، ويعفو، ويصلح، فإن أجرَه محفوظٌ عند اللّه، أي أن القُرآن يربِطُ بين العفو والإصلاح والسُّمُو الإنساني، ويجعلُ ضبطَ النفس قوة أخلاقية ترفعُ الإنسانَ ولا تُنقصه، وتجعله مصدرًا للأمَان.

بهاتين القيمَتيْن يا أحبَّاءَنا يتغيّر شكلُ الحياة

تمامًا؛ كالتّالي:
تتحوّل الخلافات إلى فرص للفهم، والغضب إلى وعي، والقدرة إلى رحمة، فتُبنى العلاقات وتزدهِر المصالح ويتبادَلُ النَّاسُ الخِبرات والمَنافع، فيقوى المجتمعُ من داخله.

يا أحبّاءنا
المجتمع الذي يتربّى أفرادُه على هذه القوة الأخلاقية هو مجتمع يسير النَّاسُ فيه بقلوب مطمئنة، لا يخاف الضعيف فيه من القوي، ولا يشعر المُخطئ أن مصيرَه الإقصاء والطرد والنبذ؛ حيثُ يجدُ بابًا مفتوحًا للتصحيح والعودة والمُشاركة من جَدِيد.

تكبُرُ الثقةُ في هذا المجتمع، ويقوَى التعَاون، وتُحلّ المُشكلات بالحِوار، وتتحوّل الطَّاقة من صراع وخوف وخصومة إلى بناء، و إبداع، وتعَاوُن وشراكة.

يصبح الاختلافُ يا أحبّائي في مثل هذا المجتمع ثَرَاء ونِعمَة، والنقدُ وسيلةً للنُمُو، والقوة وسيلة للحماية فلا يُؤذي أحدٌ أحدًا، ويشعرُ الإنسانُ

أنَّه مَرْئي ومسمُوع ومُحترم وصاحب مَكَانة، فتستقرُّ البُيوت، وتطمئنُّ المَدارس، ويكْبَرُ الأطفالُ وهم يحملون في داخلهم ميزانَ العدل والرحمة، فلا أحد هناك يلجأُ لمنطق الغلبة والسيطرة، وإن حاولَ أحدُ المُتمرِّدين فعلَ ذلك تصدَّى له المَجمُوع.

وفي المقابل يا أحبّاءنا، فإنَّ المجتمع الذي تغيبُ عنه هذه القيمة يتحوّل إلى ساحةِ هَواجِس وقلقٍ وتوترٍ دائم، حيث يسود منطقُ القوة الظاهرة، ويَخافُ الضعيف، ويتحَصَّنُ الجَميعُ خلف أقنعتِهم، وتضيعُ الثقة شيئا فشيئا، وتكثر الخُصومات، ويصبح الاختلاف تهديدًا، ويتعلم النَّاسُ الدفاعَ عن أنفسهم قبل أن يتعلموا فهمَ بعضِهم بعضًا، فتتضاعف الحَواجِز والأسوار بينهم.

في مثل هذا المجتمع تُستَهلك الطاقة في الصِراع، وتضِيع في الشكِّ والعَداء، وتضعف الرَّوابط، وتكثر الجراحُ الصغيرة حتى تصيرَ كبيرة، ويكْبُر الأطفالُ وهم يربطون القوةَ بالإيذاء، والنجَاحَ بالإقصاء والنبْذ، فيتكوّن جِيلٌ مُتوتِّر من الداخل وإن بدا قويًا من الخارِج.

تذكّروا دائما يا أحبّاءَنا،
أن القوةَ ليست في أن يغلب أحدُكم غيرَه ويهزمَه، حيث أن الإنتصارَ الحقيقي هو أن تتغلبَ على نفسِك وتنتصر على أهوائِك، كمَا أنَّها ليست في أن تكسَر قلبًا، فالقلوب إذا كُسِرت من الصَّعب التئامُها، والخيرُ كُلَّ الخير في حِمَايتِها وإدخال الأمن والسكينة والسعادة إليها، ولتعلَمُوا جيدًا أن النّصْرَ لا يتحقَّقُ برفع الصَّوْت، إنما يتحقَّقُ برفع القِيمَة.

فلنكُن أقوياءَ بالرّحمَة، أقوياء بالحِلْم، أقوياء بالعدلِ والعَطَاء، ولنجعلْ قلُوبَنا مَكانا آمِنًا للنَّاس، كما نُحبُّ أن تكونَ الحَياةُ مكانا آمِنًا لنا.

وليكن شعارنا في هذا العدد:
القوة في الرحمَة.. والعظمَة في ضبْطِ النَّفس.

يا أحفادي

الهِجْرَةُ طَرِيقُ بِنَاء

يا أَحْفادِي،

بَعدَ أنْ وَقَفَ إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمَامَ قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبادَةِ اللّهَ وَحدَهُ وَيَدعُوهُمْ إِلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ عِبادَةِ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، لَمْ يَتَحَوَّلِ الخِلافُ الفِكْرِيُّ عِنْدَهُمْ إِلَى حِوارٍ، وَإِنَّما تَحَوَّلَ إِلَى عَداءٍ وَأَذًى وَتَهْدِيدٍ، وهُنا تَبْدَأُ في القُرْآنِ مَرْحَلَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ قِصَّةِ إِبْراهِيمَ، (مَرْحَلَةُ الانْتِقال).

يَقُولُ القُرْآنُ عَلَى لِسانِ إِبْراهِيمَ (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي)، أَيْ إِنَّهُ يَخْتارُ أَنْ يَتَّجِهَ بِقَلْبِهِ وَحَياتِهِ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُرْضِي

اللهَّ، حتَّى إذا اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ أَنْ يَتْرُكَ مَكانًا لَمْ يَعُدْ يَصْلُحُ فِيهِ أَنْ يَنْمو الحَقُّ وَتَطْمَئِنَّ فِيهِ القُلُوبُ.

ثُمَّ يُخْبِرُنا القُرْآنُ أَنَّ إِبْراهِيمَ خَرَجَ مِنْ أَرْضِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَانْتَقَلَ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى يَصِفُها القُرْآنُ بِأَنَّها (أَرْضٌ مُبارَكَةٌ)، أَيْ أَرْضٌ يُرْجَى فِيها الخَيْرُ وَالنَّماءُ وَالاسْتِقْرارُ، وَهُناكَ بَدَأَتْ مَرْحَلَةٌ جَدِيدَةٌ فِي بِنَاءِ حَياتِهِ وَبِنَاءِ الدَّعْوَةِ وَبِنَاءِ الأُسْرَةِ الصَّالِحَةِ.

كانَ إِبْراهِيمُ فِي أَرْضٍ يَسُودُ فِيها الشِّرْكُ وَالقَهْرُ الفِكْرِيُّ، حَيْثُ تُعْبَدُ الأَصْنامُ وَيُمْنَعُ التَّفْكِيرُ الحُرُّ وَيُحارَبُ مَنْ يَدْعُو إِلَى الحَقِّ، فَكانَتِ الهِجْرَةُ انْتِقالًا مِنْ بِيئَةٍ تَضِيقُ فِيها القُلُوبُ إِلَى بِيئَةٍ تَتَّسِعُ فِيها الحَياةُ لِلْحَقِّ وَالنُّورِ.

يا أَحْفادِي،

الهِجْرَةُ فِي المَفْهُومِ القُرْآنِيِّ انْتِقالٌ مِنْ مَكانٍ يَعْسُرُ فِيهِ إِقامَةُ الحَقِّ إِلَى مَكانٍ يُمْكِنُ فِيهِ أَنْ يَعِيشَ الإِنْسانُ الحَقَّ وَيُقِيمَهُ وَيُصْلِحَ وَيَبْنِي وَيُعَلِّمَ وَيَنْشُرَ الخَيْرَ دُونَ خَوْفٍ أَوْ قَهْرٍ.

وَهَذا مُهِمٌّ جِدًّا يا أَحْفادِي، لأَنَّ بَعْضَ النّاسِ فِي زَمانِنا يَسْتَخْدِمُونَ كَلِمَةَ (الهِجْرَةِ) لِيُبَرِّرُوا العُنْفَ أَوِ القَطِيعَةَ أَوْ تَكْفِيرَ المُجْتَمَعِ أَوِ الخُرُوجَ عَلَيْهِ، وَالقُرْآنُ يُعَلِّمُنا أَنَّ الهِجْرَةَ كانَتْ دائِمًا طَرِيقًا لِلبِنَاءِ وَالسَّلامِ وَالرَّحْمَةِ.

يُخْبِرُنا القُرْآنُ أَنَّ إِبْراهِيمَ لَمَّا هاجَرَ دَعا وَبَنَى وَرَبَّى وَتَزَوَّجَ وَدَعا اللهَّ أَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً صالِحَةً وَبَنَى بَيْتًا لِلْعِبادَةِ، وَصارَ قُدْوَةً فِي الإِيمانِ وَالأَخْلاقِ وَالتَّوْحِيدِ.

أَيْ أَنَّ الهِجْرَةَ كانَتْ بِدايَةَ مَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ فِي حَياتِهِ وَدَعْوَتِهِ.

إِذَنْ نَتَعَلَّمُ يا أَحْفادِي أَنَّ الهِجْرَةَ فِي مَعْناها القُرْآنِيِّ هِجْرَةٌ إِلَى العَدْلِ وَإِلَى الحُرِّيَّةِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ وَالإِصْلاحِ، سَواءٌ كانَتْ فِي مَكانِ الجَسَدِ أَوْ فِي مَكانِ القَلْبِ.

وَقَدْ يُهاجِرُ الإِنْسانُ وَهُوَ فِي مَكانِهِ إِذا غَيَّرَ فِكْرَهُ وَنَقَّى قَلْبَهُ وَأَصْلَحَ سُلُوكَهُ وَاخْتارَ طَرِيقَ الحَقِّ فِي وَسَطِ النّاسِ.

فَتَعَلَّمُوا يا أَحْفادِي أَنْ تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يُهاجِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَى الخَيْرِ وَبِأَخْلاقِهِمْ إِلَى العَدْلِ وَبِأَفْعالِهِمْ إِلَى الإِصْلاحِ بِالحِكْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ.

فَهَكَذا كانَتْ هِجْرَةُ الأَنْبِياءِ، وَهَكَذا يَرْشِدُنا القُرْآنُ.

قدوتي

الرَّسُولُ القُرْآنِي

يا أصحابي،،

عندما نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتعلم أولًا كيف نكون بشرًا أفضل، قبل أن نفكّر في أن نكون واعظين أو مُتكلمين أو مختلفين عن غيرنا.

الرَّسُول الذي يقدمه لنا القرآن يبني الإنسانَ من الداخل ويحرِّرُه من خوفه، ومن أنانيته، ومن غضبه، ومن وَهْم التفوّق على النَّاس، ويقودُه إلى قلبٍ سَليم وعقل واعٍ وسلوك عَادِل.

قدوتي يا أصْحَابي هي رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما وصفه القرآن الكريم، رسولَ رحمةٍ وهداية، يُعلِّمُ النَّاس بالحقّ ويرشدهم بالحكمة، ويبين لهم طريق الخير بلا قهر ولا عنف، ويحرر القلوبَ قبل أن يغير العُقول، ويصوغ الإنسانَ من الداخل قبل أن يسعى لتغيير الخارج.

وقد أرشدنا القرآنُ في قوله تعالى: (وما أرسَلناك إلا رحمةً للعَالمين)، فكانت رسالته كلها رحمة وهداية وتزكية للنفوس، وكل موقف له، وكل كلمة قالها، كانت في ضوء القرآن وحكمته.

وكان يواجه الصعَاب والخصوم بصَبْرٍ وعدل وهُدوء، كمَا فعلَ مع من أنكرُوا دعوتَه، فلم يقتل أحدًا بلا حق، ولم يفرضْ شيئًا بالإكْراه، ولم يستخدم الدين لتثبيت حكمه أو سلطتِه، بل ترَكَ الأمرَ للحق والضمير، وعناية اللّه تحْميه وتقودُه.

هذا الرَّسُولُ يعلمُنَا أن الطريقَ إلى اللّه يبدأ من النَّفس، وأن الفلاحَ يسْكُن في تزكيتها، وأن معركَتنا المُهمّة إنما هي في داخل القلب؛ عندما نقاومُ الكَذِب والحقد والحَسدَ والطمعَ والاستعْلاءَ وحبّ السيْطرة، وعندما نختار الصدقَ والعَدلَ والرَحمَةَ والتواضُع والصَبر والإنصَاف وحُسْن الظنِّ بالنَّاس.

والرَّسُول في القرآن يا أصْحَابي هو شاهد ومُذكِّر وداعٍ إلى الخيْر، ومُحرّرٌ للعقل من الخُرافة، ومحررٌ للقلبِ من القسْوة، ومُحرّرٌ للإنسان من عبودية الشهوة والمال والجاه والسلطة، ويقود الإنسان إلى أن يكون عبدًا للّه وحده فيتحرر من كل عبودية سِواه، ويعلّمُه أنَّه ليْسَ قاضيًا يفتّشُ في أخطَاءِ النَّاس، ولا شُرطيًا يلاحقُهُم، ولا حَاكمًا يُرَاقبُ تفاصيلَ حَياتهم.

يجب يا أصحَابي أن نحذرَ من صُورة أخرى صُنعت عبر الزمن باسم الدِّين، وهي صورة تجعلُ الرُّسولَ رمزَ خوفٍ وعنْفٍ دائم، وتجعلُ الدينَ مجموعةَ أوامرِ قاسية وعقوبات جاهزة، وتجعل التديُّنَ سباقًا للحكم على النَّاس وتفتيش قلوبهم وتصنيفهم واتهامهم.

تُربِّي هذه الصورة إنسانًا قلقًا متوترًا غاضبًا، مشغولًا بغيره أكثر من انشغالِه بنفسه، ومَفتونًا بسلطَتِه الأخلاقية الوهْمية أكثرَ من اهتمامه بصِدْق قلبه.

تلك الصورة التي صنَعَها التراث لاحقًا حولت الرَّسُولَ إلى سلطة رقابية ومرجع قضائي لكل صغيرة وكبيرة، وجعلت النصوص أداة للتهديد والقهر، كما لو أن الإسلام كله مقصور على نصوص معينة تُطبَّق حرفيًا دون فهم أو روح، فتحولت القيم إلى أوامر جامدة، وأصبح التدين ممارسة خارج القلب والضمير، وأُخفيت مبادئ الرحمة والعدل والحرية التي أتى بها القرآن، فصارَ النَّاس تابعين للخوف والتقيد بالقواعد الشكلية وفقدوا الحرية والمسؤولية.

الرَّسُول القُرآني يعلمنا أن العدل أساس الحكم والرحمة مبدأ السلوك، كما في قوله تعالى: (ولا يجْرمنَّكم شَنآنُ قومٍ على ألا تعْدِلُوا اعْدِلُوا هُو أقربُ للتقْوَى)، ويحث على التواضع والاعتدال: (ولا تمْشِ في الأرضِ مَرحًا إنَّكَ لَنْ تخرِقَ الأرْضَ ولَنْ تَبْلغَ الجِبَال طُولًا)، ويصوغُ الإنسَان المتوازن الذي يخشى اللّه بقلبه ووعيه.

تصنعُ الصورة التراثية المزيفة إنسانًا مشغولًا برقابة الآخرين، ومهْوُوسًا بالمظَاهر والسُّلطة، يفقد التوازن والطمأنينة والقدرة على الإصلاح الذاتي.

ذلك يا أصْحَابي، الاقتداءُ الحَقيقي بالرَّسُول؛ بإتِّباع سنَّتِه كما أرادَه القرآن، رحمة وعدلًا وتواضعًا وتزكية للنفس وحرية مسؤولية، وليس في تقليد صور مُزيفة فرضت خوفًا واستعلاء، وهكذا فقط نصبح حاملين للرسالة القرآنية حقًا، ونعيش قيمَها في كل كلمة وفعل وخطوة في حَياتنا.

الاقتداءُ الحقيقي برسول اللّه يا أصْحَابي هُو أن نكون صَادقين، رُحَماء، عَادلين، مُتواضعين، نحبُّ الخيرَ للنَّاس، نكف أذانا عنهم، نُحسنُ الظنَّ بهم، نصلحُ أنفسَنا قبل أن نفكر في إصلاح غيرنا، ونحملُ في قلوبنا سَلامًا قبل أن نرفعه في شعاراتنا.

وهكذا نُصبحُ أبناءَ الرسَالة حقًا، ونكُونُ من الذين يحملُون نورَها في حياتهم، وليس في كلماتِهم فقط.

فكرة من كتاب

المَرْأَةُ أمانَةُ الحَياة

جَلَسَ أَشْرَفُ نُورِ الدِّينِ مَعَ وَلَدَيْهِ حسامٍ وَحازِمٍ فِي هُدُوءِ المَساء وبين يديه كتابٌ ظَهَرَ عُنوانُه بوضُوح (الطَّلاق يُهدِّدُ أمنَ المُجتمَع) للأستاذ علي محمد الشُّرفَاء الحمَّادي، كانَ النُّورُ الخافِتُ يَنْسَابُ مِنَ النّافِذَةِ كَأَنَّهُ دَعْوَةٌ لِلْحِوار.

قالَ حسام:

أبي، نَسْمَعُ كَثِيرًا عَنْ حُقوقِ المَرْأَةِ، وَعَنْ مَكانَتِها فِي الإِسْلام، فَما الأَصْلُ الَّذي بَنَى عَلَيْهِ القُرآنُ هذِهِ المَكانَة؟

اِبْتَسَمَ الأَبُ وَقال وهُو يفتحُ كِتابَ الأستاذ الشُّرفاء على صفحَةِ المُقدِّمة:

الأَصْلُ يا بُنَيَّ فِي آيَةٍ واحِدَةٍ جَعَلَها اللّهُ قاعِدَةً لِكُلِّ شَيْءٍ بَعْدَها، يَقُولُ تَعالى

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

قالَ حازِم:

مِنْ نَفْسٍ واحِدَة.. يَعْنِي هَذا أَنَّهُما مُتَساوِيان؟

قالَ الأَبُ:

نَعَم، مُتَساوِيانِ فِي القِيمَةِ الإِنْسانِيَّة، فِي الأَصْل، فِي الكَرامَة، فِي الحَقِّ عِنْدَ اللّه، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ تَتَوَزَّعُ المَسؤولِيّاتُ بَيْنَهُما تَوْزِيعَ تَكامُل، لا صِراعَ فِيهِ وَلا تَنافُس.

قالَ حسام:

وَما هُوَ هذا التَّوْزِيع؟

قالَ الأَبُ فِي هُدُوء:

كَلَّفَ اللّهُ الرَّجُلَ بِمَسؤولِيَّةِ الرِّعايَةِ وَالحِمايَةِ وَالإِنْفاق، لِيَكونَ الأَمْنُ وَالاسْتِقْرارُ حَوْلَ الأُسْرَةِ مَحْفوظًا، وَكَلَّفَ المَرْأَةَ بِمَسؤولِيَّةِ الحَمْلِ وَالوِلادَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالرِّعايَةِ القَرِيبَةِ لِلأَطْفال، وَهِيَ مَسؤولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ يَشْتَرِكُ فِيها الجَسَدُ وَالقَلْبُ

وَالرُّوح.

قالَ حازِم:

وَهَلْ هذا يَعْنِي أَنَّ واحِدًا أَهَمُّ مِنَ الآخَر؟

قالَ الأَبُ مُبْتَسِمًا:

يَعْنِي أَنَّ الحَياةَ لا تَقُومُ بِأَحَدِهِما وَحْدَهُ، وَأَنَّ اللّهَ جَعَلَهُما سَكَنًا لِبَعْضِهِما، يَسْكُنُ الجَسَدُ وَيَطْمَئِنُّ القَلْبُ وَتَسْتَقِيمُ الحَياة.

قالَ حِسام:

إِذَنْ فَحُقوقُ المَرْأَةِ لَيْسَتْ مِنْحَةً، هِيَ جُزْءٌ مِنْ تَصْمِيمِ الحَياة؟

قالَ الأَب:

نَعَم، هِيَ أَمانَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللّه، كَما أَنَّ مَسؤولِيَّةَ الرَّجُلِ أَمانَة، وَإِذا ضاعَتْ إِحْداهُما اضْطَرَبَتِ الأُسْرَةُ وَاضْطَرَبَ المُجْتَمَع.

سَكَتَ الوَلَدانِ لَحْظَةً، فَقالَ حازِم:

كَأَنَّ الأُسْرَةَ شَراكَةٌ فِي الأَمانَة؟

قالَ الأَب:

نَعَم، شَراكَةٌ فِي الحَمْلِ وَالرَّعْيِ وَالصَّبْرِ وَالعَطاء، وَبِها تُبْنَى البُيوت، وَتَسْتَقِيمُ النُّفوس، وَيَسْلَمُ المُجْتَمَع.

آية ودرس

الصِّراطُ الذي لا يَضِلُّ سالِكُه

بقلم/ داليا داوود

دعونا نتأمَّلُ اليومَ يا أحبّائي وتلامذتي آيةً عظيمةً من كتابِ اللّه عزَّ وجلَّ يقولُ فيها (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)؛ حيثُ تحملُ هذه الآيةُ الكريمةُ يا تلامذتي الأعزّاءُ توجيهًا واضحًا وقويًّا من اللّه تعالى إلى نبيِّه ﷺ وفي الوقتِ نفسِه هي رسالةٌ لكلِّ مؤمنٍ يسيرُ على طريقِ الحقِّ.

الأمرُ الإلهيُّ فاستمسك يعني تمسَّك بقوّةٍ ولا تترك ولا تتهاون؛ وكأنَّ اللّهَ يعلّمُنا أنَّ طريقَ الهدايةِ يحتاجُ إلى ثباتٍ، لا إلى تردُّد فالاستقامةُ خطوةٌ واحدةٌ ثم خطوات بعدها، ما يعني أنها مسيرة طويلةٌ تتطلَّبُ صبرًا ويقينًا.

ويطمئنُ اللّهُ نبيَّه بقوله (إنك على صراطٍ مستقيم)، ليؤكِّد أنَّ الوحيَ الذي أنزله اللّهُ هو الطريقُ الصحيحُ، الذي لا اعوجاجَ فيه، وهذا يبعثُ الطمأنينةَ في القلب؛ لأنَّ الإنسانَ حين يعلمُ أنَّه يسيرُ على الحقِّ لا تزعجه كثرةُ الطرق ولا اختلافُ الناس، فالطريقُ المستقيمُ يا أحبّائي قد يكونُ صعبًا أحيانًا، لكنَّه دائمًا الطريقُ الآمن.

ثم يبيِّنُ اللّهُ مكانةَ هذا الوحي العظيم فيقول (وإنَّه لذكرٌ لك ولقومك)، أي أنَّ القرآنَ شرفٌ للنبيِّ ﷺ وشرفٌ لأمّتِه كلِّها فهو كتابٌ يرفعُ شأنَ من يعملُ به ويمنحه مكانةً عظيمةً؛ لأنَّه كلامُ اللّهِ الذي يهدي ويصحِّح ويذكِّرُ الإنسانَ بكرامتِه ومسؤوليّتِه، فمن جعلَ القرآنَ رفيقَه صار له نورٌ يهديه في قراراتِه وأخلاقِه.

وتُختَمُ الآيةُ بتذكيرٍ مهمٍّ (وسوف تُسألون)؛ أي أنَّ هذا الشرفَ العظيمَ يقابله حسابٌ ومسؤوليّةٌ، فالعلمُ بالحقِّ معرفةٌ وأمانةٌ، ومن عرفَ الطريقَ ثم انحرفَ عنه كان حسابُه أعظم، ولهذا فإنَّ التمسُّكَ بالوحي اختيار أصيل، وواجب يحملُ في داخلِه أمانةً كبيرةً.

تعلّمُنا هذه الآيةُ يا تلامذتي أنَّ الثباتَ على الحقِّ هو سرُّ النجاة وأنَّ القرآنَ هو الصراطُ المستقيمُ الذي لا يضلُّ من سار عليه، كما تعلّمُنا أنَّ شرفَ الإيمانِ يقابله مسؤوليّةٌ عظيمةٌ وأنَّ اللّهَ سيسألُ كلَّ إنسانٍ عمّا علمَ وعمل وتغرسُ في قلوبِنا معنى الالتزامِ وعدمِ التهاون، وأنَّ الهدايةَ تحتاجُ إلى تمسُّكٍ وصبر، فإذا أردنا أن نعيشَ مطمئنّين فلنتمسَّك بكتابِ اللّه، ولنجعلْه دليلَنا في الحياة لأنَّ من تمسَّك به يا أحبّائي كان على صراطٍ مستقيمٍ ومن أعرضَ عنه، ضاع في طرقٍ لا نهايةَ لها..

قصة قصيرة

رَمَـــاد ونُـــور

بقلم/ هشام النجار

كان الحيُّ لا يزال دافئًا من أثر الحريق..

رمادٌ أسود يعلو الجُدران، ورائحَةُ خشبٍ مُحترق تختلطُ ببكاءٍ مكْتوم لا يُسمَع إلا إذا اقتربتْ كثيرًا.

وَقفتْ اللجنة التطوُّعية في السَّاحةِ الصغيرة.. طاولة، صناديق تبرعات، ووجُوه مُتعَبة.

قال نادر وهو يُرتِّبُ الصناديق بصَرامَة

-يجب أن نتحقق أولًا.. هل هؤلاءِ مُلتزمُون فعلًا؟ هل يسْتحِقُّون المُسَاعدة؟

نظرت إليه سلمى بدهشة:

-يستحقون لأنهم بشر، نادر.. لا تجعل الدين حاجزًا بينك وبينَ النَّاس..

ابتسم بسخرية:

-وأنتم تريدونه بلا حدود ولا ضوابط، مجرد مَشاعِر..

كان يُوسُف يحملُ بطَّانية ويُغطي بها امرأة مُسِنَّة ترتجِفُ من البرد، دون أن ينظر لأيٍّ منهما.

اقترب طفل صغير، يحمل دفتراً مُتفحمَ الأطراف..

قال بصوت خافت

-هذا دفتري، كان فيه رسوماتي..

أخذه يوسف بلطف، قلّب الصفحات السوداء، ثم قال:

-هلْ تُحِبُّ الرَّسْم؟

هزَّ الطفل رأسَه..

مدّ يوسف له دفترًا جديدًا وأقلامًا ملوّنة من حقيبته

توقف نادر لحظة..

-كان الأولى أن نُعطِي الطَّعَام.. هذه كَمَالِيَّات

رد يوسف بهدوء:

الجَائعُ يحتاجُ خبزًا، والمكْسُورُ يحتاج معنى..

سَكَتَ الجَمِيع..

جلسَت سلمَى قُربَ الطِّفل:

ماذا كُنتَ ترسِم؟-

قال:

-كنتُ أرسِمُ بيتَنا، قبلَ أن يحْترِق..

نظرَ نادر إلى البُيوتِ السَّوْداء

حوله، ثمَّ قالَ بصوتٍ أقلَّ حِدّة:

-الدُّنيا زائلَة، هذا ابتلاء..

رفع الطفل عينيه

-هل الابتلاء يعني إن ربنا لا يحبنا فأحرقَ بيتنا؟

تجمّد السُّؤالُ في الهَواء..

لم يجدْ نادر جَوابًا.

قال يُوسُف بهُدوء:

-الابتلاءُ مَعْناه أنَّنا مُحتاجُون إلى بعض، أكثر..

نظر الطِّفلُ إليه طويلًا، ثم ابْتسَم..

في تلك اللحظة فقط، شعر نادرُ أنَّ كل الآيات التي يحفظها لم تمنحْهُ القدرة على طمأنة طِفل، وأنَّ كلَّ شعارات الرَحْمة التي تُؤمِنُ بها سلمى لم تُعلّمه ماذا يفعل عندما يُسْأل عن اللّه..

أما يُوسُف، فلم يقلْ شيئًا..

كان يرسمُ مع الطِّفل بيْتًا جديدًا، بلوْنٍ أخضر هذه المرة..

سألَه الطِّفلُ وهو يرسِم:

ما هُو الدين؟

توقف يوسف قليلًا، ثم قال

الدين؟ هو أن نُؤمِنَ بالآيات، ولا نتركْ بعضَنا في الأزَمَات..

نظر الطفل إلى البيْتِ الأخْضَر، ثم قال:

-إذَنْ، الدِّينُ جَمِيل..

ولأولِ مرَّة، لم يعْترضْ أحَدْ..

صندوق الحكمة

كُلُّ الرُّسل، مِن النَّبي نُوح حتى محمد خاتِمِ النبيِّين، يحملُون رسَالة واحدة وهي الدعوة للإسلام دينًا واحدًا ورسالة واحدة من إله واحد، كلُّهم مسلمون وأتباعُهم مسلمون، ولو اختلفت مذاهبهم وطقوسُهُم. فنرى أتباعَ محمد عليه السَّلام وهم ينتمُون للإسْلام، كم من المذاهب تشكَّلت في الإسلام! ففي السُنَّة عشرات المذاهب والمِلَل، وفي الشَّيعة عشرات المذاهب والمِلل، ولكنَّهم كلُّهم يدَّعُون بأنَّهم مُسلمون. كذلك أهل الكتاب كلُّهم مسلمُون مع تعدُّد المذاهب لديهم سواءَ في اليهُودية أو المسيحِية ولكن أصلَ رسالاتِهم الإسْلام وأنبياؤهم مُسلمُون، ويومَ القيامِة سيكونُ الإسْلامُ هو المنهَاجَ الذي سيُحاسَب به النَّاسُ على أعمالِهم في الدُّنْيَا.

من أقوال الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي